ALMAKRIFAH, Vol. 15 April 2018, 147 - 170
Available online at htttp://journal.unj.ac.id/unj/index.php/jba
doi.org/10.21009/ALMAKRIFAH.15.01.09

أثر علوم اللغة العربيّة في فهم النّصوص الشّرعيّة: مقدّمة تنظيريّة أولى

رائد عليّ الكرديّ- ، ريم فرحان المعايطة- عمر عبد الله الفجّاويّ-
raed_kordi@yahoo.com, reem_maaita@yahoo.com
قسم اللغة العربيّة وآدابها – الجامعة الهاشميّة - المملكة الأردنية الهاشمية

Abstract

The Impact of Arabic Language's Sciences on Understanding the Islamic Contexts: A First Theoretical Introduction

In the ancient centuries of Arabic and Islamic heritage, all sciences were connected and the benefit was exchanged among them. However, the stsudents received information from scholars by listening to their lectures, sessions and presentations, and then they became qualified with certificates in era's sciences which assisted them in their fields, by delivering questions and solving problematic and controversial issues.

This paper deals with the impact of Arabic Language's sciences on understanding the Islamic Contexts. It has divided into two tracks, first: shine examples and models from Arabic and Islamic Heritage which explain the interesting of commentators and jurists in Arabic Sciences, like Ibn Abbas, Ashshafie, Attabari and Azzamakhshari.

Second: examples of linguistics understanding in some of The Holy Quran's Verses and its impact on assisting commentators and jurists in formulating their rules.

Keywords: The Impact, Arabic Language's, Sciences, Islamic Contexts

الملخّص

كان سِمْط العلوم حالِيًا غير منجذم في أزمنة القرون الأولى لتلقّي العلم، فالقرائح تأخذ من علوم العصر كلّه، والتّلميذ ينهد إلى حلقات الأشياخ بتعدّد تخصّصاتهم، فيحصّل درجات وإجازات في علوم شتّى، تعينه على فهم قضاياه واستشكالاته الّتي تواجهه وأسئلته في تخصّصه الدّقيق.

وقد تناول البحث موضوع أثر معرفة علوم اللغة العربية في فهم النصوص النصوص الشرعية، وقد جاءت الدراسة في مبحثين: الأوّل تناولت فيه نماذج نضرة من التّراث، تبيّن اهتمام الفقهاء والمفسّرين القدماء بعلوم اللغة العربيّة، مثل ابن عباس والشافعي والطبري والزمخشري، وأما المبحث الآخر فتحثت فيه عن تمثّلات الفهم اللغويّ لبعض آي القرآن الكريم وأثرها في إعانة الفقهاء والمفسّرين على صياغة أحكامهم.

الكلمة المفتاحية: ثر معرفة، معرفة علوم اللغة العربية، فهم النصوص

المقدمة

ألفينا كثيرًا من علماء تراثنا العربيّ والإسلاميّ ديدنهم أن يأتوا على ما يحوطهم من علوم في عصر كلّ واحد منهم، ولا سيّما من نهض منهم للنّظر في كتاب الله أو السّنّة النّبويّة، وكانوا لا يبدأون تصنيف كتبهم، بل لا يقعدون مقاعد للبحث والتّدريس إلّا بعد أن يكونوا قد عبروا علومًا شتّى، وأهمّها العربيّة ولسان العرب، إذ كان يحرو بالواحد منهم أن يفهم كلام العرب ولغتهم وعلوم العربيّة حتّى يكون أهلًا للنّظر في القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة، ليحسن استنباط الأحكام الشّرعيّة منهما. وليس الأمر متعلقا بفهم الدين فقط، بل إن من عوامل نجاح الدعوة الإسلامية في الجزيرة العربية إتقان أهلها للغة العربية، فكان هذا أدعى لإيمان الناس بكلام الله عز وجل، وبإدراك الإعجاز الإلهي في كل سورة وفي كل آية، قال تعالى: { ولو نَزَّلْناهُ عَلَى بَعْضِ الأعْجَمِينَ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ} الشعراء: ١٩٨-١٩٩. (السرجاني، راغب، http://articles.islamweb.net).

ولكنّ الأمر في زماننا أضحى مختلفًا اختلافًا كبيرًا، إذ وجدنا أنّ انفكاكًا مستطيرًا قد حدث بين علوم العربيّة وعلوم القرآن، فعلوم العربيّة تدرّس في أقسام اللغة العربيّة، وعلوم القرآن تدرّس في كلّيّات الشّريعة، ويكفي المتخصّص في كلا العلوميْن أن يعرف من العلم الآخر نتفًا ضئيلة أشبه بحسو الطّير، إلّا من هم مازالوا مهتمّين بالوفاق بين هذه العلوم، وهم قلّة.

ولذلك جاء هذا البحث ليزجي مقدّمة تنظيريّة تعيد الأمور إلى نصابها، لتبيين حاجة الفقيه والمفسّر والقاضي الشّرعيّ الكبيرة إلى علوم العربيّة، وسيكون مقدّمة أولى لا بدّ أن تتلوها دراسات تعيد هذا التّأثيل وتوكّده.

مشكلة البحث: تكمن مشكلة البحث في وجود انفصال بين علوم القرآن وعلوم اللغة العربية في عصرنا الحالي، مما أدى إلى عدم الفهم الصحيح لبعض الآيات القرآنية الكريمة، وكما هو معلوم فإن تفسير القرآن ينبني بشكل كبير على المعرفة التامة باللغة العربية، ولذلك جاءت الدراسة لتبين هذه المشكلة وتسليط الضوء عليها.

هدف البحث: يسعى البحث إلى تحقيق أهداف جمّة، من أبرزها:

أ- بيان أثر معرفة اللغة العربية في فهم نصوص القرآن الكريم.

ب- بيان حاجة اللغة العربية أيضا إلى النصوص القرآنية الكريمة، ففهم القرآن فهما صحيحا يسهم في خدمة اللغة العربية بكل علومها.

ج- ينبني على ما سبق أن الهدف الرئيسي من الدراسة بيان الحاجة إلى الربط بين علوم القرآن وعلوم اللغة العربية.

منهج البحث: ستقوم الدراسة على المنهج النقدي التحليلي.

خطة البحث: جاء البحث في مبحثين، هما:

المبحث الأول: نماذج نضرة من اهتمام الفقهاء والمفسّرين القدماء بعلوم العربيّة، وقد تم تقسيم هذا المبحث إلى المطالب الآتية:

المطلب الأول: عبدالله بن عبّاس.

المطلب الثاني: محمد بن إدريس الشافعي.

المطلب الثالث: محمد بن جرير الطبري.

المطلب الرابع: محمود بن عمر الزمخشري.

المبحث الثاني: نماذج من أثر الفهم اللغويّ في الأحكام، وقد تم تقسيمه إلى المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: قوله تعالى: {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ}.

المطلب الثاني: قوله تعالى: {فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ}.

البحث

نماذج نضرة من اهتمام الفقهاء والمفسّرين القدماء بعلوم العربيّة

لا يستطيع الباحث أن يجمع في هذه الصّفحات القليلة كلّ ما يتّصل بالقضيّة المبحوثة، ولكنّنا سنحاول أن نتلمّس بعض القمم والصُّوى الدّالّة على قيمة العربيّة وعلومها عند الفقهاء والمفسّرين في قرون متعدّدة.

لقد بدا هذا الائتلاف جليًّا ناصعًا منذ القرون الأولى لتنزّل القرآن الكريم فالتّدوين والتّلقّي، فلا انفكاك بين العربيّة وعلومها ولا سيّما الشّعر الجاهليّ، والقرآن الكريم وعلومه، وآية هذا أن القرآن الكريم قد نزل بلسان عربيّ مبين على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وأسمعه الصّحابة ومن حوله من المشركين، فتلقّوه بالتّعظيم تارة، وبالدّهشة طورًا آخر.

المطلب الأول: عبدالله بن عباس:

من القمم الأولى الّتي ينبغي التّنبّه عليها عبدالله ابن عبّاس -رضي الله عنه- الّذي كان من حفظة الشّعر الجاهليّ، وكان يحتجّ به على تفسير غريب القرآن الكريم، وكان عمر بن الخطّاب يستشيره فيه ويعظِم في ذلك شأنه(ديوان زهير: ٢٧٩-٢٨٣).

ومن المعلوم بالضّرورة أنّ الشّعر الجاهليّ هو ديوان العرب ولسانهم، وبه نزل القرآن الكريم وعلى سَنَنه، فالاحتجاج" بالشّعر في بيان معاني ألفاظ القرآن الكريم موضوع جليل عظيم الأهمّيّة، والفائدة في الوقوف على معاني ألفاظ القرآن عند العرب في شعرها، قبل أن ينزّل القرآن على سيّد الأنبياء والمرسلين محمد عليه الصلاة والسّلام، وحين نزوله وبُعَيْدَه"(مسائل نافع بن الأزرق: ٨).

وكان ابن عبّاس يتمثّل الشّعر الجاهليّ إذا سئل عن شيء من القرآن، وكان يقول:" إذا سألتموني عن غريب القرآن، فالتمسوه في الشّعر، فإنّ الشّعر ديوان العرب (القرآن: ٨٤٧-٨٤٨.) "، ويقول كذلك:" الشّعر ديوان العرب، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الّذي أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها، فالتمسنا معرفة ذلك منه(إيضاح الوقف والابتداء:)" .

فالنّاظر في مسائل نافع بن الأزرق يدرك المحفوظ الكبير الّذي تأتّى لابن عبّاس من الشّعر الجاهليّ، فقد كان نبعًا ثرًّا يفيء إليه، ويستعمله في الرّدّ على أسئلة ابن الأزرق في تفسير غريب القرآن الكريم، وقد بدا هذا الشّعر كثيرًا، ولشعراء مغمَّرين، وينبئنا هذا بأنّ التّلاقي بين علوم القرآن الكريم ولسان العرب أمر واجب، ولا سيّما الشّعر الجاهليّ.

ومن طريف ما يروى عن علمه الجمّ، ولا سيّما العربيّة وشعر العرب ما يورده ابن الجوزيّ عن أحد مجالسه الّتي يحقّ لجميع قريش الفخر بها فيقول راوي الخبر:"...رأيت النّاس قد اجتمعوا حتّى ضاق بهم الطّريق، فما كان أحد يقدر على أن يجيء ولا أن يذهب، قال: فدخلت عليه (أي ابن عبّاس) فأخبرته بمكانهم على بابه، فقال لي: ضع لي وضوءًا. قال: فتوضّأ وجلس وقال: أخرج وقل لهم: من أراد ان يسأل عن القرآن وحروفه وما أراد منه فليدخل،...،ثمّ قال: أخرج فقل: من أراد أن يسأل عن العربيّة والشّعر وكلام العرب فليدخل..." (المنتظم ٦ : ٧٢-٧٣).

وقد امتدحه الحطيئة في مجلس عمر شعرًا، إذ يذكر ابن حجر أنّ الحطيئة قد نظر" إلى ابن عبّاس في مجلس عمر، وقد قرع بكلامه، فقال: من هذا الّذي نزل على القوم بسنّه وعلاهم في قوله؟ قالوا: هذا ابن عبّاس، فأنشأ يقول:

إنّي وجدت بيان المرء نافلة يهدى له ووجدت العِيَّ كالصَّمَمِ

المرء يبلى ويبقى الكلم سائرة وقد يلام الفتى يومًا ولم يُلَمِ"(تمييز الصّحابة ٤ : ٩٤.
).

المطلب الثاني: محمد بن إدريس الشافعي

من العلماء الّذين يستشهد بهم في إقامة الائتلاف بين علوم العربيّة وعلوم الشّريعة الإمام الشّافعيّ، فقد تحدّث عن البيان العربيّ، وبيّن أنّ الفهوم تتقارب إذا فهمت لسان العرب وتختلف إذا جهلته فيقول:" والبيان اسم جامع (لمعاني) مجتمعة الأصول، متشعّبة الفروع، فأقلّ ما في تلك المعاني المجتمعة المتشعّبة: أنّها بيان لمن خوطب بها ممّن نزل القرآن بلسانه، متقاربة الاستواء عنده، وإن كان بعضها أشدّ تأكيد بيان من بعض، ومختلفةٌ عند من يجهل لسان العرب"(الرّسالة : ٢١.).

وقد تمثّل الشّافعيّ هذا خير تمثّل، فقد كان من العربيّة وعلومها بمنزلة متقدّمة، وبدا هذا فيما يأتي:

أوّلًا: أنّه قد ذهب إلى اليمن لتلقّي الشّعر والنّحو والغريب، وفي هذا يقول الزّبير بن بكّار عن عمّه:" مصعب بن عبد الله بن الزّبير أنّه خرج إلى اليمن فلقي محمّد بن إدريس الشّافعيّ، وهو مستحصف في طلب الشّعر والنّحو والغريب"(معجم الأدباء ٦ : ٢٣٩٤.).

ثانيًا: كان الشّافعيّ يريد من تعلّمه العربيّة أن يستعين بها على فهم قضايا الفقه فيقول:" ما أردت بها – يعني العربيّة والأخبار إلّا للاستعانة على الفقه" (سير أعلام النّبلاء ١٠ : ٧٥.). وفي السّياق نفسه يذكر البيهقيّ أنّ الشّافعيّ قد "أقام على قراءة العربيّة وأيّام النّاس عشرين سنة وقال: ما أردت بهذا إلّا الاستعانة على الفقه" (مناقب الشّافعيّ ٢ : ٤٢.). ويقول الشّافعيّ نفسه:" خرجت

أطلب النّحو والأدب، فلقيني مسلم بن خالد فقال: يا فتى، من أين أنت؟ قلت: من اهل مكّة. قال: وأين منزلك منها؟ قلت: بشِعب الخَيْف. قال: من أيّ قبيلة أنت؟ قلت: من ولد عبد مناف. قال: بخ بخ، لقد شرّفك الله في الدّنيا والآخرة، ألا جعلتَ فهمك هذا في الفقه، فكان أحسن لك؟(طبقات الشّافعيّة ١ : ٩٧.)

ثالثًا: اهتمّ العلماء بالحديث عن لغته، فابن حنبل يعدّه فيلسوفًا في اللغة واختلاف النّاس والمعاني والفقه (مناقب الشّافعيّ ٢ : ٤١.)، وكان يقول عنه:" كان الشّافعيّ من أفصح النّاس"(وتاريخ دمشق ٥١ : ٣٥٠ – ٣٧٢) ، وقال كذلك:" كلام الشّافعيّ في اللغة حجّة"(مناقب الشّافعيّ ٢ : ٤٢.) ، ويقول المزنيّ:" قول الشّافعيّ - رضي الله عنه –في اللغة حجّة" ((مناقب الشّافعيّ ٢ : ٤١.))، كما أثنى ابن هشام النّحويّ على لغة الشّافعيّ فقال:" إذا شكّ في شيء من اللغة، بعث إلى الشّافعيّ فسأله عنه" (مناقب الشّافعيّ ٢ : ٤٣.) ، ويقول ابن هشام صاحب المغازي:" الشّافعيّ ممّن يؤخذ عنه اللغة"(مناقب الشّافعيّ ٢ : ٤٣.).

وقد بلغ الأمر ببعض العلماء أن جعلوا لغة الشّافعيّ حجّة كلغة أيّ قبيلة، فهذا أبو الوليد بن أبي الجارود يقول:" كان يقال: إنّ محمّد بن إدريس الشّافعيّ لغة وحده، يحتجّ به كما يحتجّ بالبطن من العرب" (مناقب الشّافعيّ ٢ : ٤٩). ويذكر المبرّد عن المازنيّ أنّ الشّافعيّ "حجّة في اللغة"(مناقب الشّافعيّ : ١٥٣- ١٧٤.). وقد أشار الأسنويّ إلى لغة الشّافعيّ فقال:" وكان قوله حجّة في اللغة، كقول امرئ القيس ولبيد ونحوهما،...،ولهذا عبّر ابن الحاجب في تصريفه بقوله: وهي لغة الشّافعيّ..."(الشّافعيّة ١ : ١٣.).

وقد أورد الذّهبيّ أنّ الحافظ أبا بكر الخطيب قد ألّف كتابًا في ثبوت الاحتجاج بالإمام الشّافعيّ(سير أعلام النّبلاء ١٠ : ٤٨.) ، كما ألّف أبو منصور الأزهريّ كتابًا وسمه بـ:" الزّاهر في غريب ألفاظ الشّافعيّ"(**وهو منشور بتحقيق محمّد جبر: ٢٠٠٢ : ١**)

ومن طريف ما يروى في اهتمام الشّافعيّ بتحصيله اللغة من مظانّها أنّه قد أقام في ديار هُذَيْل فيقول:" ثمّ إنّي خرجت عن مكّة، فلزمت هذيلًا في البادية، أتعلّم كلامها، وآخذ طبعها، وكانت أفصح قال : فبقيت فيهم سبع عشرة سنة أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم ، فلمّا رجعت إلى مكّة ، جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار وأيّام العرب ، فمرّ بي رجل من الزّبيريّين من بني عمّي فقال لي : يا أبا عبد الله ، عزّ عليّ ألا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة والذّكاء فقه، فتكون قد سدت أهل زمانك "(معجم الأدباء ٦ : ٢٣٩٥ .).

ويتحدّث الشّافعيّ في السّياق نفسه فيقول:" أقمت في بطون العرب عشرين سنة، آخذ أشعارها ولغاتها، وحفظت القرآن، فما علمت أنّه مرّ بي حرف إلّا وقد علمت المعنى فيه والمراد، ما خلا حرفيْن، أحدهما: دسّاها"(سير أعلام النّبلاء ١٠ : ١٢-١٣.)

رابعًا: ولم يقف الحدّ عند هذا، بل وجدنا الشّافعيّ يستشهد بعدد من أشعار الجاهليّين في كتابه الرّسالة، فقد استشهد بخُفاف بن ندبة، وساعدة بن جؤيّة، ولقيط الإياديّ (الرّسالة : ٣٤-٣٦.) ، وقد أفرد أحمد شاكر فهرسًا للفوائد اللغويّة المستنبطة من كتاب الرّسالة دلالة على فصاحته واستبحاره في العربيّة (سير أعلام النّبلاء ١٠ :٤٠.)).

ويورد الشّافعيّ اهتمامه بلسان العرب وأنّ القرآن الكريم قد نزل بلسانهم فيقول:" ومن جماع علم كتاب الله العلم بأنّ جميع كتاب الله إنّما نزل بلسان العرب" ((الرّسالة : ٤٠.)) ويقول في موطن آخر:" ولسان العرب أوسع الألسنة مذهبًا، وأكثرها ألفاظًا، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبيّ"(سير أعلام النّبلاء ١٠ :٤٠.) ، ويقول:" وإنّما بدأتُ بما وصفت من أنّ القرآن نزل بلسان العرب دون غيره؛ لأنّه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب، وكثرة وجوهه، وجماع معانيه وتفرّقها، ومن علمه، انتفت عنه الشُّبَه الّتي دخلت على من جهل لسانها" (الرّسالة : ٤٠.)

ومن الإشارات المهمّة قوله:" فإنّما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها، على ما تعرف من معانيها، وكان ممّا تعرف من معانيها اتّساع لسانها، وأنّ فطرته ان يخاطب بالشّيء منه عامًّا ظاهرًا يراد به العامّ الظّاهر، ويستغنى بأوّل هذا منه عن آخره، وعامًّا ظاهرًا يراد به العامّ ويدخله الخاصّ، فيستدلّ على هذا ببعض ما خوطب به فيه، وعامًّا ظاهرًا يراد به الخاصّ، وظاهرًا يعرف في سياقه أنّه يراد به غير ظاهره، فكلّ هذا موجودٌ علمُه في أوّل الكلام أو ووسَطه أو آخره" (سير أعلام النّبلاء ١٠ :٤٠.)).

إنّ المتأمّل في آراء الشّافعيّ يستبصر أنّ على من يندب نفسه للفقه أو التّفسير أو النّظر في كتاب الله أن يكون مكينًا في لسان العرب، راسخ القدم في فهمه، عالما بإدراك مراميه، حتّى يحسن التّعامل مع قضايا الكتاب العزيز وتشعّباته، وإلّا فستبور بضاعته، وتضحى مزجاةً، وربّما فهم الأمر على غير مراده ومدلوله، فيخرج بفهوم لا تليق وحكمة الله تعالى، وقد نصّ الشّافعيّ على ذلك ناعيًا على المتكلّفين الّذين لا يتقنون فنون العربيّة، فيجورون ويشتطّون، وينتهون إلى غير المحمود من النّتائج، فيقول:" ومن تكلّف ما جهل وما لم تثبته معرفته، كانت موافقته للصّواب – إن وافقه من حيث لا يعرفه – غيرَ محمودة، والله أعلم، وكان بخطئه غير معذور، إذا ما نطق فيما لا يحيط علمه بالفرق بين الخطأ والصّواب فيه"(٥٤).

المطلب الثالث: محد بن جرير الطبري:

ومن الّذين ينبغي الحديث عنهم في سياق الإفادة من علوم العربيّة في علوم الشّريعة الحنيفة أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبريّ، فقد استطاع عبور علوم العربيّة ولسان العرب، ووظّفها في خدمة تفسيره الجامع، فحين ورد مصر تارة أخرى بان" فضله عند وروده إليها في

القرآن والفقه والحديث واللغة والنّحو والشّعر" (معجم الأدباء ٦ : ٢٤٤٨.) ، وكان " عارفًا بأيّام النّاس وأخبارهم " (معجم الأدباء ٦ : ٢٤٤٨.) ، وكان " عالمًا بالفقه والحديث والتّفاسير والنّحو واللغة والعروض، له في جميع ذلك تصانيف فاق بها على سائر المصنّفين " (معجم الأدباء ٦ : ٢٤٤٢.).

وحين وافى مصر، لقيه " أبو الحسن ابن سراج، فوجده فاضلًا في كلّ ما يذاكره به من العلم، ويجيب في كلّ ما يسأله عنه، حتّى سأله عن الشّعر فرآه فاضلًا بارعًا فيه، فسأله عن شعر الطّرمّاح، وكان من يقوم به مفقودًا في البلد، فإذا هو يحفظه" (معجم الأدباء ٦ : ٢٤٤٨.)

ويتحدّث عنه الذّهبيّ فيبيّن أنّه كان:" علّامة في التّاريخ وأيّام النّاس، عارفًا بالقراءات وباللغة وغير ذلك" (سير أعلام النّبلاء ١٤ : ٢٧٠.) ، وكان مبرّزًا في علوم كثيرة، حتّى وصفه عبد العزيز بن محمّد بأنّه كان:"...كالقارئ الّذي لا يعرف إلّا القرآن، وكالمحدّث الّذي لا يعرف إلّا الحديث، وكالفقيه الّذي لا يعرف إلّا الفقه، وكالنّحويّ الّذي لا يعرف إلّا النّحو، وكالحاسب الّذي لا يعرف إلّا الحساب" (معجم الأدباء ٦ : ٢٤٥٢.)

وبلغ من فطنته وذكائه أن تعلّم العروض في ليلة واحد فيقول" لمّا دخلت مصر، لم يبق احد من اهل العلم إلّا لقيني وامتحنني في العلم الّذي يتحقّق فيه، فجاءني يومًا رجل فسألني عن شيء من العروض، ولم أكن نشطت له قبل ذلك، فقلت له: عليّ قول ألّا أتكلّم اليوم في شيء من العروض، فإذا كان في غد فَصِرْ إليّ، وطلبت من صديق لي العروض للخليل بن أحمد فجاء به، فنظرت فيه ليلتي، فأمسيت غير عروضيّ، وأصبحت عروضيًّا"(معجم الأدباء ٦ : ٢٤٣٩.)

ويؤكّد ياقوت فضله في علوم اللغة فيقول:" وقد بان فضله في علم اللغة والنّحو على ما ذكره في كتاب التّفسير وكتاب التّهذيب مخبرًا عن حاله فيه،...، وكان يحفظ من الشّعر للجاهليّة والإسلام ما لا يجهله إلّا جاهل به" (معجم الأدباء ٦ : ٢٤٥٢.) ، وفي سياق معرفته بالشّعر يقول أبو عمر الزّاهد:" سمعت ثعلبًا يقول: قرأ عليّ أبو جعفر الطّبريّ شعرًا لشعراء قبل أن يكثر النّاس عندي، بمدّة طويلة" (معجم الأدباء ٦ : ٢٤٥١.)

وممّا ينبئ بعلوّ كعبه في علوم النّحو أن شهد له أبو العبّاس ثعلب – على ما فيه من غلظة وفظاظة – فيقول ياقوت عن أبي بكر ابن المجاهد:" قال أبو العبّاس يومًا: من بقي عندكم – يعني الجانب الشّرقيّ ببغداد – من النّحويّين؟ فقلت: ما بقي أحد، مات الشّيوخ. فقال: حتّى خلا جانبكم؟ قلت: نعم، إلّا أن يكون الطّبريّ الفقيه. فقال لي: ابن جرير؟ قلت: نعم. قال: ذاك من حُذّاق الكوفيّين. قال أبو بكر: وهذا من أبي العبّاس كثير؛ لأنّه كان شديد النّفس، شرس الأخلاق، وكان قليل الشّهادة لأحد بالحذق في علمه" (معجم الأدباء ٦ : ٢٤٥٢.)

وقد تكلّم الطّبريّ على شروط المفسّر، وأنّ عليه أن يكون عالما بكلام العرب ولسانهم ولغاتهم فيقول:" فالواجب أن تكون معاني كتاب الله المنزّل على نبيّنا محمّد عليه السّلام لمعاني كلام العرب موافقة، وظاهره لظاهر كلامها ملائمًا، وإن باينه كتاب الله بالفضيلة الّتي فضّل بها سائر الكلام والبيان بما تقدّم وصفنا، فإذا كان ذلك كذلك، فبيّن – إذ كان موجودًا في كلام العرب الإيجاز والاختصار والاجتزاء بالإخفاء من الإظهار، وإظهار المعاني بالأسماء دون الكتابة عنها، والإسرار في بعض الأوقات، والخبر عن الخاصّ في المراد بالعامّ الظّاهر، وعن العامّ في المراد بالخاصّ الظّاهر، وعن الكتابة والمراد منه المصرّح، وعن الصّفة والمراد الموصوف، وعن الموصوف والمراد الصّفة، وتقديم ما هو في المعنى مؤخّر، وتأخير ما هو في المعنى مقدّم، والاكتفاء ببعض من بعض، وبما يظهر عمّا يحذف، وإظهار ما حظّه الحذف – أن يكون ما في كتاب الله المنزّل على نبيّه محمّد عليه السّلام، من ذلك في كلّ ذلك له نظيرًا، وله مثلًا وشبيهًا"(تفسير الطّبريّ ١ : ٥٥.)

ومن اهتمام الطّبريّ باللغة وأعرافها أن دعا إلى الأخذ بكثير الاستعمال فيقول:" في تأويل قوله تعالى: "فنادته الملائكة وهو قائم يصلّي في المحراب" (آل عمران : الآية ٣٩.) ، وأمّا الصّواب من القول في تأويله، فأن يقال: إنّ الله – جلّ ثناؤه – أخبر أنّ الملائكة نادته. والظّاهر من ذلك أنّها جماعة من الملائكة دون الواحد، وجبريل واحد، ولا يجوز أن يحمل تأويل القرآن إلّا على الأظهر الأكثر من الكلام المستعمل في ألسن العرب، دون الأقلّ ما وجد إلى سبيل، ولم تضطرّنا حاجة إلى صرف ذلك إلى أنّه بمعنى واحد، فيحتاج له إلى طلب المخرج بالخفيّ من الكلام والمعاني" (تفسير الطّبريّ ٣ : ١٧٦٣.)

المطلب الرابع: محمود بن عمر الزمخشري:

يعدّ الزمخشري رأسًا من رؤوس العربيّة وعلومها في عصره، غير مدافَع ولا منازَع، حتّى قال عنه الذّهبيّ:" وكان رأسًا في البلاغة والعربيّة والمعاني والبيان، وله نظم جيّد" (سير أعلام النّبلاء ٢٠ : ١٥٤.) "وقال السّمعانيّ: برع في الآداب" (سير أعلام النّبلاء ٢٠ : ١٥٥.) ، وقال أبو البركات ابن الأنباريّ:" وأمّا أبو القاسم محمود بن عمر الزّمخشريّ، فإنّه كان نحويًّا فاضلًا" (نزهة الألبّاء : ٢٩٠.) ، وقال ابن الجوزيّ:" وكان له حظّ في علم الادب واللغة" (المنتظم ١٨ : ٣٨.) ويقول القفطيّ:" وكان – رحمه الله – ممّن يضرب به المثل في علم الأدب والنّحو واللغة، لقي الأفاضل والأكابر، وصنّف التّصانيف في التّفسير وغريب الحديث والنّحو وغير ذلك،...،وكان علّامة الأدب، ونسّابة العرب" (إنباه الرّواة ٣ : ٢٦٥-٢٦٦.). وقد وصفه صاحب الوشاح فقال:"...ولم يتمكّن في دهره واحد من جلاء رذائل النّظم والنّثر، وصقل صوارم الأدب والشّعر، إلّا بالاهتداء بنجم فضله، والاقتداح بزند عقله،...،وملك في قلوب البلغاء جميع ما رعوه ووعوه، وإن كان عدد أبياته الّتي ذكرتها قليلًا، فكماله صار عليها دليلًا" ((إنباه الرّواة ٣ : ٢٦٨-٢٦٩.).

ويثني عليه القفطيّ فيقول:" وكان الزّمخشريّ أعلم فضلاء العجم بالعربيّة في زمانه، وأكثرهم أنسًا واطّلاعًا على كتبها، وبه ختم فضلاؤهم" إنباه الرّواة ٣ :-٢٢٧٠).

وقد ترجم له بروكلمان مبيّنًا اهتمامه بعلوم العربيّة وعلوم القرآن والجمع بينهما، فيقول:" وقد شغلته علوم اللغة على الأخصّ إلى جانب تفسير القرآن، وعلى الرّغم من أنّه فسّر في كتابه "مقدّمة الادب" الكلمات العربيّة الفارسيّة، كان مقتنعًا بتفضيل العربيّة، إلى درجة أنّه ندّد في مقدّمة كتابه "المفصّل" بالميل إلى الشّعوبيّة" (نور الدين، ٣ :٢١٨.)

وقد نوّه به الحوفي وبجهوده في كتاب كبير مفصّل فقال عنه:" كان مشغوفًا بالمعرفة، يتزوّد بها من الأساتذة تارة، ومن الكتب تارة، فتنوّعت ثقافته، وتميّزت عقليّته، وتعدّدت مؤلّفاته،...،وما تزال كتبه من المنابع الأصيلة للفكر العربيّ الإسلاميّ إلى اليوم، كالكشّاف وفنونه، وأساس البلاغة وحقائقه ومجازاته، والمفصّل وشروحه" (الزّمخشريّ : ٢٩٨.)

كما تحدّث مرتضى الشّيرازيّ عنه فقال:" وجوانب الزّمخشريّ العلميّة العديدة، ومنزلته الكبيرة في العلوم الدّينيّة وعلوم البلاغة والأدب تجعلنا نجلّ هذا الرّجل الخالد الّذي أثّر في اللغة العربيّة بآرائه ومؤلّفاته الّتي انتفعت بها مدارس الثّقافة الإسلاميّة في كلّ عصر وجيل" (الزّمخشريّ: لغويًّا ومفسّرًا : ١.)

إنّ المتبصّر في سيرة الزّمخشريّ ليدرك أنّ هذا العالم قد أتى على علوم العربيّة ببراعة كبيرة، ولم يقف عند فهمها واستيعابها، بل صنّف فيها التّصانيف المعتبرة الّتي أفضت إلى تحقيق فوائد لعلوم الشّرع ومتلقّيها، فصنّف معجمًا بلاغيًّا يعدّ الاوّل في بابه هو "أساس البلاغة" (إبراهيم، ١٩٧٩) ، وجمع غريب ألفاظ الحديث الشّريف في "الفائق" (محمّد البجاوي ومحمّد أبو الفضل، ١٤١٤) ، وألّف كتابًا يعدّ من الكتب الأصول في النّحو هو "المفصّل في علم العربيّة" (دار الجيل للنّشر) ، كما فسّر القرآن في "الكشّاف" (عبد الرّزّاق المهدي، ٢٠٠١) ينضاف إلى هذا كلّه أنّ هذه المعارف قد تواشجت وائتلفت وأفادت علوم الشّريعة في استجلاء صورة النّصّ وفهمه.

لقد قدّمنا أربعة نماذج يمكن أن نصنّفها إلى قسمين: الأوّل لعالمين عربيّين أرومة ومحتدًا، هما ابن عبّاس والشافعي، والآخر لعالمين من العجم هما: الطّبريّ والزّمخشريّ، وقد استطاعوا جميعًا أن يحيطوا بعلوم العربيّة ويجعلوها في خدمة العلوم الشّرعيّة، كما أنّ الأمر لم يقف عندهم، بل وجدنا علماء قد حثّوا على إقامة الوشائج بين هذه العلوم، ولا يجوز أن تنفصم عراها، كما هو سائد في زماننا.

ومن هؤلاء ابن عبد البرّ الذي يدعو إلى ضرورة العودة إلى لسان العرب ليكون عونًا على فهم كتاب الله عزّ وجلّ فيقول:" وممّا يستعان به على فهم الحديث ما ذكرناه من العون على كتاب الله عزّ وجلّ، وهو العلم بلسان العرب، ومواقع كلامها، وسعة لغتها وأشعارها ومجازها وعموم لفظ

مخاطبتها وخصوصه، وسائر مذاهبها لمن قدر، فهو شيء لا يستغنى عنه" (جامع بيان العلم وفضله: ١١٣٢.)

وقد بيّن أنّ عمر بن الخطّاب قد دعا في كتبه إلى الآفاق إلى تعلّم النّحو مع القرآن الكريم فيقول:" وكان عمر بن الخطّاب – رضي الله عنه – يكتب إلى الآفاق أن يتعلّموا السّنّة والفرائض واللحن – يعني النّحو – كما يتعلّم القرآن، وجاء في رواية أخرى أنّ عمر كتب إلى أبي موسى الأشعريّ:" أمّا بعد، فتفقّهوا في السّنّة، وتفقّهوا في العربيّة" (جامع بيان العلم وفضله: ١١٣٢.)

والنّاظر في تجلّيات ابن عبد البرّ هذه يفهم اهتمام الرّجل بالجمع بين هذه العلوم؛ لأنّه قد ألفى في زمانه أناسًا قد عَفَّوْا هذه الطّريق، وسلكوا غير فجّ الحقّ، فنعى عليهم نعيًا شديدًا، وكأنّه يقرأ بظهر الغيب ما يجري في زماننا، فهم – كما يقول – أناس مقصّرون يجمعون الصّحيح والسّقيم، والحقّ والكذب في كتاب واحد، وقلوبهم من العلم خالية، فيقول:" واعلم – رحمك الله – أنّ طلب العلم في زماننا هذا وفي بلدنا قد حاد أهله عن طريق سلفهم، وسلكوا في ذلك ما لم يعرفه أئمّتهم، وابتدعوا في ذلك ما بان به جهلهم وتقصيرهم عن مراتب العلماء قبلهم، فطائفة منهم تروي الحديث وتسمعه، قد رضيت بالدّؤوب في جمع ما لا تفهم، وقنعت بالجهل في حمل ما لا تعلم، فجمعوا الغثّ والسّمين، والصّحيح والسّقيم ،والحقّ والكذب في كتاب واحد، وربّما في ورقة واحدة، ويدينون بالشّيء وضدّه ،ولا يعرفون ما في ذلك عليهم،...،غاية أحدهم معرفة الكنية العربيّة والاسم الغريب والحديث المنكر، وتجده قد جهل ما لا يكاد يسع أحدًا جهله من علم صلاته وحجّه وصيامه وزكاته..." (جامع بيان العلم وفضله: ١١٣٢.)

وممّن اهتمّوا كذلك بالتّوفيق بين علوم العربيّة وعلوم الشّريعة الإمام الزّركشيّ، فقد تحدّث في النّوع العشرين عن معرفة الأحكام من جهة إفرادها وتركيبها، وأشار إلى علم النّحو وضرورته فيقول:" وعلى النّاظر في كتاب الله الكاشف عن أسراره النّظر في هيئة الكلمة وصيغتها ومحلّها، ككونها مبتدأ أو خبرًا، أو فاعلة أو مفعولة، أو في مبادئ الكلام أو في جواب، إلى غير ذلك من تعريف أو تنكير، أو جمع قلّة أو كثرة، إلى غير ذلك"(البرهان، ١ : ٣٠٢.)

ثمّ عدّد أمورًا عليه أن يراعيها (البرهان، ١ : ٣٠٢ – ٣١٠.) وانتقل إلى الحديث عن النّوع الحادي والعشرين وهو" معرفة كون اللفظ والتّركيب أحسن وأفصح" وبيّن فيه أمورًا بلاغيّة (البرهان، ١ : ٣١١-٣١٧.) ، وختمه بقوله:" ليكن محطّ نظر المفسّر مراعاة نظم الكلام الّذي سبق له، وإن خالف أصل الوضع اللغويّ لثبوت التّجوّز، ولهذا ترى صاحب "الكشّاف" يجعل الّذي سيق له الكلام معتمدًا، حتّى كأنّه غير مطروح" (البرهان، ١ : ٣١٧)

لقد تبيّن لنا بعد هذا الاستعراض أن لا غنى لدارس الشّريعة عن علوم العربيّة، ولا سيّما إذا رام أن يشتقّ أحكامًا أو يستنبط فتاوى، وإنّ ممّا حاق بنا في زماننا هذا أنّ الفصل بين هذه

العلوم قد أضحى واضحًا بيّنًا، بل يضرب بجرانه في كثير من المواقع، فأمسينا في عماية من أمرنا، ونستمع إلى فتاوى وآراء وأحكام لا تدلّ على تنوّر، ولا تشي بأنّ أصحابها على أدنى ذكْر بعلوم العربيّة، حتّى وإن الوصل بين هذه العلوم، فهو أشبه بحسو الطّير الّذي لا ينفع إلّا في استقامة الجملة نحويًا وصرفيًّا.

لقد وجدت علوم العربيّة، ولا سيّما الشّعر الجاهليّ، من أجل خدمة علوم الشّريعة، وإنّ المحقّق ليدرك هذا وهو يذرع كثرة كاثرة من تفاسير القرآن الكريم، وهم يهتدون بالشّعر الجاهليّ وما بعده وبالنّحو والصّرف، من أجل توضيح الألفاظ.

إنّ الزّمن الّذي نحن فيه يدعونا إلى رجع النّظر في كثير من تجلّياتنا وتمثّلاتنا، وأن نعي وعيًا كبيرًا أنّه لا يتأتّى لأيّ واحد من أبناء زماننا أن يصنع ما صنعه أحد القدماء، من إحاطة كبرى بعلوم العربيّة والشّعر، ولكنّنا ندعو جهرة إلى إقامة الوشائج والعلائق والعرى بين أرباب التّخصّصات، فلا بدّ لصاحب الشّريعة إذا ما انتوى أن يصوغ حكمًا شرعيًّا، أو لِمُفْتٍ أن يصدر فتوى أن يستعين بذوي الاختصاص من أهل العربيّة وعلماء الشّعر الجاهليّ ولسان العرب، حتّى يدرك مراد اللفظة وتركيبها في الآية الكريمة، ثمّ ينطلق لصياغة فتواه.

لقد حلّت بنا فتاوى، ولا سيّما في حقوق المرأة، مرجوعة إلى فهم غير قويم للصّياغة القرآنيّة، فكثّرنا أعداء الإسلام بأيدينا، وجلبنا شاتمينا إلى عَرَصاتنا قائلين لنا: من أفواهكم نُدينكم! ألم يقل ربّكم في كتابه كذا وكذا؟! أو لم يقل مشايخكم وفق هذا كذا كذا؟

إنّ كثيرًا من الفتاوى والأحكام الشّرعيّة الّتي كفّرت وحرّمت وحلّلت إنّما هي قادمة من النّأي عن درس العربيّة، وأهمّ ما يتمثّل في هذا السّياق هو عدم الميز بين الكلام المنسوب في الحوار القرآنيّ، وهذا ما سنعالجه في الجزء الآخر من البحث.

المبحث الثاني

نماذج من أثر الفهم اللغويّ في الأحكام

سنتحدّث في هذا الجزء من البحث عن تطبيق عمليّ لقيمة اللغة وفهم أسرارها في صياغة الأحكام، ومعلوم أنّ هذا الأمر بحر لجّيّ متلاطم، فتفاصيله كثيرة، وفروعه غير محدودة، ومن اجتناب الخطل والشّطط، فإنّنا سنعمد إلى محاورة آيتيْن في القرآن الكريم لم يحسن كثير من النّاس التّعامل معهما، والسّبب أنّهما قد نزعتا من سياقاتهما، بمعنى أنّ الآية تؤخذ مجتزأة منقوصة، فلا ينظر فيما قبلها ولا فيما بعدها، ولا يدرى إلى من تنسب، فتختلط النّسبة بين أن تكون لله تعالى أو أحد خلقه.

إنّ ممّا ينبغي للقارئ الفاذّ أن يتنبّه عليه وهو يقرأ القرآن الكريم ويشتقّ منه الأحكام أن يفرّق بين الكلام المنسوب إلى الله تعالى، والكلام الّذي نسبه الله تعالى إلى قائله، فالله يعلّمنا الأمانة في النّصّ، وهو ما يتحدّث عنه في زماننا بالملكيّة الفكريّة، فالله يذكر حوارات وأقوالًا في كتابه العزيز وينسب لكلّ قولَه، فقد نسب الأقوال إلى مدّعي الألوهيّة، مثل فرعون الّذي قال: "أنا ربّكم الأعلى" (النّازعات : الآية ٢٤.) ونسب التّهم الّتي اتُّهِم بها إلى عزّ وجلّ إلى أصحابها، كالّذين قالوا:" إنّ الله فقير ونحن أغنياء" (آل عمران : الآية ١٨١.) ، والّذين قالوا:" يد الله مغلولة"(لمائدة : ٦٤.) ، والّذين قالوا:" عزير ابن الله" (التّوبة : الآية ٣٠.) ، والّذين قالوا:" المسيح ابن الله"(التّوبة : الآية : ٣٠.) ، ونسب الأقوال إلى الحيوانات، فقد ما قالته النّملة:" لا يحطمنّكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون" (النّمل : الآية ١٨.) ، ونسب الحديث إلى الجمادات في حواره مع السّماوات والأرض، فقالتا:" أتينا طائعين"(فصّلت : الآية ١١.)

ولهذا، فإنّ آيتيْن تتعلّقان بالمرأة قد أحدث فهمهما استشكالًا عظيمًا، حتّى عند ذوي البصائر والنّهى، وهاتان الآيتان هما:" وليس الذّكر كالأنثى"(آل عمران : الآية ٣٦.) ، و" إنّ كيدكنّ عظيم" (يوسف : الآية ٢٨.)

لقد شرّق النّاس علماؤهم ودهماؤهم في هاتيْن الآيتيْن وتأويلهما وغرّبوا، بين منكّس للإسلام ومتّهم بأنّه ضدّ المرأة، وبين مؤوّل قد يلوي أعناق النّصوص حتّى يحلّ استشكالاتها، ولو أعملوا فيها النّظر، لألفَوْها منسوبة إلى بشر، لا إلى الله تعالى.

ولعلّ ممّا يحرو الإنباه عليه هنا أنّ التّأويل علم حسن المقصد، ولكنْ، لماذا نلجأ إلى تأويل كلام قاله بشر، وقد يكونون فيه مخطئين؟ وربّما قالوه في زمان يصلح فيه، ولا يصلح في زمان آخر. إنّ الأولى بالصّواب في التّأويل أن نجنح لتأويل كلام الله تعالى فقط، إن احتاج إلى ذلك، فكلامه معجز، ولكنّ كلام البشر يحتمل الصّواب والخطأ، ولذلك، إن كان رأيًا، فهو رأي، وإن أخطأ فهو خطأ، وإن أصاب، فهو صواب، وعلى هذا فسنعالج تفصيلًا كلّ آية على حدة.

المطلب الأول: قوله تعالى: {وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ} آل عمران: ٣٦.

هذا جزء من آية في سورة آل عمران من حديث امرأة عمران ونذرها ما في بطنها ليكون في خدمة الكنيسة، وحين ولدت، جاء المولود أنثى، يقول تعالى: **{فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ }آل عمران: ٣٦.**

اعتذرت امرأة عمران إلى الله تعالى من أنّها كانت تتوقّع أنّ الّذي سيقوم على أمر الكنيسة ذكر، ولكنّ المولود أنثى. وقد برز الاستشكال في هذه الكلمات الثّلاث "وليس الذّكر كالأنثى" بمعنى

أن قدرات الذّكر أعلى من الأنثى وأكبر، فرأى المتكلّمون في حقوق المرأة أنّ في هذا عدوانًا على المرأة، ناسبين الكلام إلى الله تعالى.

وقبل أن نتحدّث عن رأينا في هذه المسألة، ينبغي أن نجيل النّظر في أقوال بعض المفسّرين، فمقاتل بن سليمان يورد الحوار الّذي جرى بين المرأة وزوجها فيقول:"...فقال زوجها: أرأيت إن كان الّذي في بطنك أنثى؟ والأنثى عورة، كيف تصنعين؟ فاهتمّت لذلك"(تفسير مقاتل ١ : ٢٧٢.). ثمّ يؤكّد مقاتل ذلك بقوله:" والأنثى عورة" فيها تقديم، يقول الله تعالى لنبيّه صلّى الله عليه وسلّم، والله أعلم بما وضعت" (تفسير مقاتل ١ : ٢٧٢.)

وفي كلام مقاتل إشارتان، الأولى: توكيده أنّ الأنثى عورة، وأمّا الإشارة الأخرى، فهي الإشارة الخفيّة إلى الجملة المعترضة "والله أعلم بما وضعت" حين قال: يقول الله لنبيّه: والله أعلم بما وضعت. وتفصيل الكلام أنّ كلام امرأة عمران قد قطعه الله تعالى بهذه الجملة فقط، ثمّ استؤنف بقولها "وليس الذّكر كالأنثى وإنّ أعيذها..."فالفصل واضح بين ما قالته امرأة عمران وما قاله الله تعالى.

وقد أعملنا النّظر في بعض التّفاسير الأولى، فلم نجد حديثًا يُذكَر عن هذا الأمر (سفيان الثّوريّ : ٧٦). وقد فسّرها الطّبريّ فقال:" ثمّ رجع جلّ ذكره إلى الخبر عن قولها، وأنّها قالت – اعتذارًا إلى ربّها ممّا كانت نذرت في حملها فحرّرته لخدمة ربّها: وليس الذّكر كالأنثى؛ لأنّ الذّكر أقوى على الخدمة وأقوم بها، وأنّ الأنثى لا تصلح في بعض الأحوال لدخول القدس والقيام بخدمة الكنيسة لما يعتريها من الحيض والنّفاس" (تفسير الطّبريّ ٣ : ١٧٤٩. وفي الطّبريّ إشارة مهمّة إلى نسبة هذا القول إلى أمّ مريم فيقول:" يعني في المحيض، ولا ينبغي لامرأة أن تكون مع الرّجال: أمّها تقول ذلك"(تفسير الطّبريّ ٣ : ١٧٤٩)

ويتحدّث الزّمخشريّ عن هذا الأمر.فيقول:" فإن قلتَ: علام عطف قوله "وإنّي سمّيتها مريم"؟ قلت: هو عطف على: إنّي وضعتها أنثى، وما بينهما جملتان معترضتان"(الكشّاف ١ : ٣٨٥.)

ولا نتّفق مع الزّمخشريّ في رأيه، فقبله الطّبريّ نسب الكلام إلى الأمّ، واعترضه قول الله تعالى"والله أعلم بما وضعت" ثمّ رجع الكلام إليها "وليس الذّكر كالأنثى"، وقد أيّد هذا ابن الجوزيّ المعاصر للزّمخشريّ فيقول:" قوله تعالى "والله أعلم بما وضعت" قرأ ابن عامر وعاصم إلّا حفصًا ويعقوب "بما وضعتُ" بإسكان العين وضمّ التّاء. وقرأ الباقون بفتح العين وجزم التّاء. قال ابن قتيبة: من قرأ بجزم التّاء وفتح العين، فيكون في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: إنّي وضعتُها أنثى، وليس الذّكر كالأنثى، والله أعلم بما وضعت، ومن قرأ بضمّ، فهو كلام متّصل من كلام أمّ مريم"(زاد المسير ١ : ١٨٩.)

وكلام ابن قتيبة في تفسير ابن الجوزيّ الّذي جاء فيه برأيْن يعضد كلام الطّبريّ، وينقض كلام الزّمخشريّ، فلو كان في الكلام تقديم وتأخير كما يرى ابن قتيبة، فهو كلام أمّ مريم، ولو قرئت: وضعتُ بضمّ التّاء، فهو وصل لكلامها كذلك، وهذا مؤيّد أشدّ التّأييد لمرادنا.

وقد قال قريبًا من هذا القرطبيّ إذ يقول:" قوله تعالى:" والله أعلم بما وضعت" هو على قراءة من قرأ "وضعتُ"، بضمّ التّاء من جملة كلامها، فالكلام متّصل،...،وعلى قراءة الجمهور هو من كلام الله عزّ وجلّ، قدِّم، وتقديره أن يكون مؤخَّرًا بعد "وإنّي أعيذها بك وذرّيّتها من الشّيطان الرّجيم والله أعلم بما وضعت" قال المهدويّ. وقال مكّيّ: هو إعلام من الله تعالى لنا على طريق التّثبيت فقال: والله أعلم بما وضعت أمّ مريم قالته أم لم تقله. ويقوّي ذلك أنّه لو كان من كلام أمّ مريم لكان وجه الكلام: وأنا أعلم بما وضعتُ؛ لأنّها نادته في أوّل الكلام في قولها: ربّ إنّي وضعتُها أنثى" (تفسير القرطبيّ ٤ : ٦٩.)

وقد تحدّث الفرّاء عن هذا فقال:" وقوله: والله أعلم بما وضعت قد يكون من إخبار مريم، فيكون والله أعلم بما وضعتُ يسكّن العين، وقرأ بها بعض القرّاء، ويكون من قول الله تبارك وتعالى، فتجزم التّاء؛ لأنّه خبر عن أنثى غائبة" (معاني القرآن ١ : ٢٠٧.)

ويفصّل مكّيّ بن أبي طالب القضيّة فيقول:" قوله: بما وضعت، قرأه أبو بكر وابن عامر بضمّ التّاء وإسكان العين، وقرأ الباقون بفتح العين وإسكان التّاء، وحجّة من ضمّ التّاء أنّه جعله من كلام أمّ مريم، لاتّصال كلامها بما بعد ذلك، وما قبله في قولها: ربّ إنّي وضعتها انثى، وقولها: وليس الذّكر كالأنثى، وقولها: وإنّي سمّيتها مريم، وقولها: إنّي أعيذها بك، فكلّه من كلام أمّ مريم، فحمل وسط الكلام على أوّله وعلى آخره، وذلك حسن في المطابقة والمجانسة"(١ الكشف القراءات: ٣٤٠.)

وكذلك قال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: وقرىء برفع التاء - أي:"وضعتُ"- على أنها تاء المتكلم، وأن ذلك من تمام قولها، وقرىء بتسكين التاء – أي: "وضعَتْ"- على أنه من قوله عز وجل (ابن كثير، ١: ٣١٥.)

وقد نثر الشّعراويّ في تفسيره الأمر وتأوّله فقال:"...وبعد ذلك يقول الحقّ: وليس الذّكر كالأنثى. إنّ الحقّ يقول لها: لا تظنّي أنّ الذّكر الّذي كنتِ تتمنّينه سيصل إلى مرتبة هذه الأنثى، إنّ هذه الأنثى لها شأن عظيم. أو أن القول من تمام كلامها: إنّي وضعتها أنثى، ويكون قول الحقّ: والله أعلم بما وضعت، هو جملة اعتراضيّة، ويكون تمام كلامها: وليس الذّكر كالأنثى، أي إنّها قالت: يا ربّ إنّ الذّكر ليس كالأنثى، إنّها لا تصلح لخدمة البيت، وليأخذ المؤمن المعنى الّذي يحبّه ،وستجد أنّ المعنى الأوّل فيه إشراق أكثر، إنّه تصوّر أنّ الحقّ قد قال: أنتِ تريدين ذكرًا بمفهومك في الوفاء بالنّذر، وليكون في خدمة البيت، ولقد وهبت لك المولود انثى، ولكنّي سأعطي فيها آية أكبر من

خدمة البيت، وأنا أريد بالآية الّتي سأعطيها لهذه الأنثى مساندة عقائد، لا مجرّد خدمة رقعة تقام فيها شعائر" (تفسير الشّعراويّ : ١٤٣٦.)

لقد تأوّل الشّعراويّ تأوّلًا لا بأس به حين أسند الكلام إلى الله تعالى، ولكنّ النّظرة الدّقيقة في الآية – كما فعل كثير من القدماء وكما فصّلنا – تنبئ أنّ الكلام لأمّ مريم، ولا ضرورة إلى أن يحمّل النّصّ فوق ما يحتمل، كما أنّ التّأويل ينبغي أن يكون في الكلام المنسوب إلى الله تعالى، أمّا كلام البشر، فشأنه الخطأ والصّواب.

ويجمل الإنباه على ما جاء في تفسير المنار، فهو كلام يستحقّ الذّكر في هذا البحث، إذ يشير صاحب المنار إلى رفعة الأنثى وقيمتها، ويؤوّل الكلام لصالحها فيقول:"...والأنثى لا تصلح لذلك عادة، لا سيّما في أيّام الحيض قال تعالى: والله أعلم بما وضعت، أي بمكانة الأنثى الّتي وضعتها، وأنّها خير من كثير من الذّكور، ففيه دفع لما يوهمه قولها من خسّة المولودة وانحطاطها عن مرتبة الذّكور، وقد بيّن ذلك بقوله: وليس الذّكر الّذي طلبتِ أو تمنّيتِ كالأنثى الّتي وضعتِ، بل هذه الأنثى خير ممّا كانت ترجو من الذّكر. وقرأ ابن عامر وأبو بكر عن عاصم ويعقوب: وضعت على أنّه من كلامها، وعليه يكون المعنى: وليس الذّكر كالأنثى فيما يصلح له كلّ منهما" (تفسير المنار ٣ : ٢٨٩–٢٩٠.)

ونحن أمام تأويل طريف من الشّيخ محمّد عبده وتلميذه محمّد رشيد رضا، إذ ينتصران فيه للمرأة انتصارًا وفق قراءته للنّصّ القرآنيّ وفهمه له، ولكنّنا نراه ليًّا لعنق النّصّ نصرة للمرأة، ولا نرى ضرورة لهذا التوغّل في التّأويل، وما دام الأمر يدعونا إلى التّوقّف لمعرفة نسبة الكلام إلى الله تعالى أو إلى أمّ مريم.

وصفوة القول بعد هذا البحث أنّه قد ترجّح لدينا أنّ عبارة "وليس الذّكر كالأنثى" قد وردت على لسان أمّ مريم وليست منسوبة إلى الله تعالى، ولذلك، ما يتحدّث به النّاس من ظلم نحو المرأة بسبب هذه الآية وانتقاص لها وأنّها لا تقوى على النّهوض بما ينهض به الرّجل كلام فيه نظر، بل مردود؛ لأنّ تعالى لم يقله، بل هو قول هذه المرأة، وهو رأيها، ولها حقّها في القول، ولها ظروفها الّتي قيلت فيه، وهي أدرى بثقافة مجتمعها وحاله، ونحن لسنا في حاجة إلى التّأويل أو الأخذ به، بل ربّما جنحنا إلى تخطئته في زماننا، لما نرى من مكانة متميّزة للمرأة استطاعت أن تحقّقها وتصل (محمّد شحرور،٢٢٩–٢٣٠)

المطب الثاني: قوله تعالى: {فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ} يوسف: ٢٨.

يقع على المرأة ظلم كبير بسبب سوء قراءة هذه الآية، ونجد من يذمّ المرأة من هذا الباب، مستدلًّا أنّ الله تعالى قد قال ذلك، وهذا الأمر مبثوث في بعض الكتب، فمقاتل بن سليمان

يقول:" إنّ كيدكنّ يعني فعلكنّ عظيم؛ لأنّ المرأة لا تزال بالرّجل حتّى يقع في الخطيئة العظيمة" (تفسير مقاتل ٢ : ٣٣١). ويقول الأزهريّ:" ووصف الله عذاب النّار فقال: عذاب عظيم، وكذلك العذاب في الدّنيا، ووصف كيد النّساء فقال: إنّ كيدكنّ عظيم"(تهذيب، ١٢ : ٤١٠) فهنا أسند الأمر إلى الله تعالى.

وقد تحدّث الدَّميريّ عن كيد النّساء وختم حديثه بقوله:" وحكاياتهنّ في المكر والكيد لا تحصى، وحسبك أنّ الله تعالى استضعف كيد الشّيطان فقال: إنّ كيد الشّيطان كان ضعيفًا، واستعظم كيد النّساء فقال: إنّ كيدكنّ عظيم" (حياة الحيوان الكبرى ١ : ٣٥٩.)

ويذكر العامليّ في السّياق نفسه:" وعن بعض العلماء أنّه قال: أنا أخاف من النّساء أكثر ممّا أخاف من الشّيطان؛ لأنّه سبحانه يقول: إنّ كيد الشّيطان كان ضعيفًا، وقال سبحانه في النّساء: إنّ كيدكنّ عظيم" (الكشكول ١ : ١٠٠.)

وتكلّم الثّعالبيّ على كيد النّساء فقال:" كيد النّساء: يضرب به المثل في كلّ زمان ومكان. قال بعض السّلف: إنّ كيد النّساء أعظم من كيد الشّيطان؛ لأنّ الله تعالى يقول: إنّ كيد الشّيطان كان ضعيفًا، وقال: إنّ كيدكنّ عظيم، فإن قيل: إنّ هذا الكلام لم يحكه الله عن نفسه، وإنّما حكاه عن غيره حيث قال: إنّه من كيدكنّ إنّ كيدكنّ عظيم. قيل: صدقتم، والصّفة على ما ذكرتم، إلّا أنّ الكلام لو كان منكرًا لأنكره الله تعالى، ولو كان معيبًا لعابه تعالى، وقد حكاه الله تعالى ولم يعبه، وجعله قرآنًا وعظّمه بذلك، والمعنى ممّا لا ينكر في العقل ولا في اللغة ولا في الكلام، إذا كان على هذه الصّفة، فهو مثله إذا كان هو المنشئ له" (ثمار القلوب : ٣٠٥.)

ولا بدّ من التّوقّف عند كلام الثّعالبيّ، فقد نبّه فيه على أنّه ليس من كلام الله تعالى، ولكنّ الله تعالى ذكره ولم يعبه ولم ينكره، وجعله قرآنًا وعظّمه بذلك، ونحن نتّفق مع الثّعالبيّ في شيء من هذا، ولكنّنا نردّ بأنّ الله تعالى قد ذكر نظائر هذا في القرآن الكريم – وهي بلا مرية قرآن، ولكنّه لم يعظّمها، فذكر أنّ فرعون قد قال: أنا ربّكم الأعلى، وذكر حال قارون وأنّه قد أوتي خزائنه على علم عنده، وذكر انّ فرعون قال: لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي، وذكر ما قاله بعض المنافقين الّذين أرادوا إذا رجعوا إلى المدينة أن يخرجوا الأذلّين منها وهم الأعزّون، ولا ينهض سكوت الله تعالى على هذه الأمور بمنطق الثّعالبيّ دليلًا على تعظيمه لها،لذلك فإن المرء يعجب من بعض العلماء الّذين لا يحسنون قراءة النّصوص وينسبونها إلى الله تعالى ثمّ يخافون النّساء أكثر من خوفهم الشّيطان، ألا يعلم أولئك أنّهم إنّما أدخلوا أمّهاتهم ومحارمهم ضمن هذه الحكم؟ فكيف يخاف المرء أمّه أكثر من الشّيطان؟ إنّ هذا لشيء عُجاب.

ثمّ إنّ الله تعالى لا يسأل عن فعله، فهو أعلم وأدرى، ولكنّه ليس مطلوبًا من الله أن يردّ أو يعيب أو ينكر، بل ترك الأمر للزّمان، فلكلّ ساقطة لاقطة.

ويذكر المشتولي أنّ من" المفاسد المترتّبة على دخول الحمّام أنّ المرأة المفسدة قد لا تتمكّن من فعل ما تريد إلّا بحجّة الحمّام، فإنّ كيد النّساء أعظم من كيد الشّيطان، كما قال الله تعالى: إنّ كيدكنّ عظيم. وقال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بنيّ، اعصِ النّساء في المعروف حتّى لا يأتينك بالمنكر، واتّق شرارهنّ، وكن من خيارهنّ على حذر، فإنّهنّ لا يسارعن إلى خير، بل هنّ إلى الشّرّ أسرع، نسأل الله العافية بمنّه وكرمه" (سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنّسوان : ٢٣.)

وقد ألفينا الزّمخشريّ يذكر شبيه هذا شؤمًا بالمرأة إذ يقول:" وإنّما استعظم كيد النّساء؛ لأنّه وإن كان في الرّجال، إلّا أنّ النّساء ألطف كيدًا وأنفذ حيلة، ولهنّ في ذلك نيقة ورفق، وبذلك يغلبن الرّجال،...،وعن بعض العلماء: أنا أخاف من النّساء أكثر ممّا أخاف من الشّيطان؛ لأنّ الله تعالى يقول: إنّ كيد الشّيطان كان ضعيفًا، وقال للنّساء: إنّ كيدكنّ عظيم" (الكشّاف ٢ : ٤٣٥.)

واستدل القرطبيّ بحديث في هذا الأمر فقال:" وقال مقاتل، عن يحيى ابن أبي كثير، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: إنّ كيد النّساء أعظم من كيد الشّيطان؛ لأنّ الله تعالى يقول: إنّ كيد الشّيطان كان ضعيفًا، وقال: إنّ كيدكنّ عظيم" (تفسير القرطبيّ ٩ : ١٥٠.)

ولكنّ المحقّق في الحاشية ضعّف هذا الحديث وقال:" هذا حديث غير صحيح، له علّتان، أمّا الأولى، فهو مقاتل، إن كان ابن سليمان، فهو كذّاب، وإن كان ابن حيّان، فقد ضعّفه غير واحد. والعلّة الثّانية: الانقطاع، فإنّ ابن أبي كثير لم يسمع، بل لم يدرك أبا هريرة، والظّاهر أنّه حديث موضوع" (تفسير القرطبيّ ٩ : ١٥٠.)

ويتحدّث الشّعراويّ عن كيد المرأة فيقول:" والكيد – كما نعلم – هو الاحتيال على إيقاع السّوء بخفاء، ويقوم به من لا يملك القدرة على المواجهة، وكيد المرأة عظيم؛ لأنّ ضعفها أعظم" (تفسير الشّعراويّ : ٦٩٢٥.)

وقد وجدنا صاحب المنار ينتصر للمرأة في هذه القضيّة الشّائكة انتصارًا عجولًا في بضع كلمات، إذ ساق ما قاله كثير بشأن الموازنة بين كيد النّساء وكيد الشّيطان، وأنكر ذلك، فيقول:" قال بعض المفسّرين: ولربّات القصور منهنّ القِدْح المعلّى من ذلك؛ لأنّهنّ أكثر تفرّغًا له من غيرهنّ، مع كثرة اختلاف الكيّادات إليهنّ. وهاهنا يذكرون قوله تعالى: إنّ كيد الشّيطان كان ضعيفًا، يستدلّون به على أنّ كيد النّساء أعظم من كيد الشّيطان، ولا دلالة فيه، وإن فرضنا أنّ حكاية قول هذا إقرار له، فالمقام مختلف، وإنّما كيد النّسوان بعض كيد الشّيطان" (تفسير المنار ١٢ : ٢٨٨.)

ويرى الدكتور محمد راتب النابلسي أن قوله تعالى" إن كيدكن عظيم" عبارة جاءت على لسان العزيز، وأنها صحيحة المعنى؛ لأن القاعدة الأصولية في التفسير أن ماحكاه الله عز وجل في

القرآن عن المخلوقين وسكت عنه فهو إقرار منه عز وجل بصوابه، وإلا بيّن ذلك (موسوعة النابلسي،٣،)

ونرى أن هذا الكلام غير دقيق فكما قلنا سابقا إنه لا يلزم أن ينكر الله تعالى كل ما يورده لنا في القرآن على لسان البشر حتى وإن كان كلامهم الوارد في القرآن مخالفا للشرع، وقد أبدع الشيخ سعيد بن محمد القحطاني حين قال إن قوله تعالى " إن كيدكن عظيم " وردت على لسان العزيز، والعزيز وقتها كان كافرا، فكيف يؤخذ بكلام الكافر ويُجعل حقيقة شرعية، بل ويرى أن كيد الرجال أعظم؛ لأن تعظيم كيد الرجال ورد على لسان يعقوب عليه السلام حين قال ليوسف عليه السلام: " يا بُنيّ لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا" يوسف: ٥. (قال هذا الكلام في درس له موجود على اليوتيوب بتاريخ ٢٠١٥/١١/١٧.)

وأمام هذا كلّه، عدنا إلى عدد من التّفاسير فألفيناها تنسب "إنّ كيدكنّ عظيم" إلى العزيز، فالطّبريّ يقول:" فلمّا رأى إطفير قميصه قدّ من دبر، عرف أنّه من كيدها، فقال: إنّه من كيدكنّ، إنّ كيدكنّ عظيم"(تفسير الطّبريّ ٦ : ٤٥١٧) وذكر كذلك رواية أخرى نسب فيها القول إلى الشّاهد فقال:" وقوله: فلمّا رأى قميصه قدّ من دبر، خبر عن زوج المرأة، وهو القائل لها: إنّ هذا الفعل من كيدكنّ، أي صنيعكنّ، يعني من صنيع النّساء، إنّ كيدكنّ عظيم. وقيل: إنّه خبر عن الشّاهد أنّه القائل ذلك"(القرطبيّ ٩ :)

وإذا تأمّلنا الأقوال الفائتة، خرجنا بما يأتي:

أوّلًا: أنّ المفسّرين الّذين عدنا إلى تفاسيرهم ينسبون عبارة "إنّ كيدكنّ عظيم" إلى العزيز أو الشّاهد، وهذا فهم متقدّم للعبارة القرآنيّة وللحوار القرآنيّ، فلم نجد واحدًا منهم قد نسبه إلى الله تعالى.

ثانيًا:أنّ المفاجأة الصّادمة قد برزت حين تحدّث بعض المفسّرين عن كيد النّساء، وأنّ بعضهم قد وازن بينه وبين كيد الشّيطان، إقرارًا منهم بأنّ عبارة "إنّ كيدكنّ عظيم" عبارة دقيقة محكمة من قول الله تعالى، وهؤلاء في الوقت نفسه هم الّذين نسبوا هذه العبارة إلى العزيز أو الشّاهد.

ثالثًا: أنّ ممّا يدعو إلى أن تستبدّ بالمرء الحيرة أنّ هؤلاء المفسّرين قد أقاموا أحكامًا سارت بها الرّكبان على كيد النّساء، ولا ندري كيف نسوا أنّ العبارة قد وردت على لسان بشر، وما دامت كذلك، فهي من الخطأ والصّواب أقرب، ونحن نرجّح الخطأ؛ لأنّ كيد الرّجال قد يكون أعظم وأشدّ في بعض الحالات، وآية ذلك ما فعله إخوة يوسف بأخيهم يوسف.

الخاتمة

ينتهي البحث إلى النتائج الآتية:

أوّلًا: لا ينبغي أن ينأى درس علوم العربيّة عن درس علوم الشّريعة، ونعني بهذا أن تدرّس علوم العربيّة تدريسًا عميقًا جادًّا، لا أن يكتفى بدراسة بضع موادّ في البلاغة والنّحو لإقامة الجملة، فهذا تسطيح.

ثانيًا: لقد أفضى النّأي بين تدريس علوم العربيّة وعلوم الشّريعة إلى وهن في فهم بعض الأحكام الشّرعيّة، بل إلى تخليط كبير.

ثالثًا: ومع إقرارنا بسموّ اللغة عند عدد من الفقهاء والمفسّرين،فإنا نؤكد أيضا على أن فهم اللغة العربية يحتاج أيضا إلى المعرفة التامة بعلوم القرآن الكريم.

ويوصي الباحثون بما يأتي:

أوّلًا: لمّا كانت علوم العربيّة واسعة أشدّ السّعة، ولا سيّما الشّعر الجاهليّ، ولمّا كان الإلمام بها صعبًا، فما بالك بالإحاطة، فإنّ الحلّ يكمن في أن يتعاون أهل الشّريعة مع أهل العربيّة، ولا سيّما المتخصّصين بالشّعر الجاهليّ والعالمين بلغات العرب، على الفهم اللغويّ لقضيّة المبحوثة، ثمّ ينهد صاحب الشّريعة ليصوغ الحكم الشّرعيّ.

ثانيا: يحسن بدارس الشّريعة أن يدرس الخطاب القرآنيّ مستفيدًا من مناهج الدّرس الحديث في دراسة الخطاب، وأن يقرأ القرآن الكريم قراءة واعية، للكشف عن درره المكنونة فيه.

ثالثا: العمل على كثرة الندوات التثقيفية، والمؤتمرات الدولية، التي تبين دور اللغة العربية في فهم الإسالم الصحيح، ودورها في بناء وإعادة تفعيل الحضارة الإسلامية (زيدان، أشرف محمد، ٢٠٠١، ٥٢.)

قائمة المصادروالمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- ابن الأزرق، نافع: **مسائل نافع بن الأزرق عن عبد الله بن عبّاس**، حقّقها وعلّق عليها ووضع فهارسها محمّد أحمد الدّالي، الجفان والجابي للطّباعة والنّشر، ط:١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م، قبرس.

٣- الأزهريّ، أبو منصور محمّد بن أحمد(ت٣٧٠هـ): **تهذيب اللغة**، تحقيق عبد السّلام محمّد هارون، الدّار المصريّة للتّأليف والتّرجمة.

٤- الأسنويّ، جمال الدّين عبد الرّحيم(ت٧٧٢ه): **طبقات الشّافعيّة**، تحقيق عبد الله الجبوريّ، بغداد، الطّبعة الأولى، مطبعة الإرشاد، ١٣٩٠ه-١٩٧٠م.

٥- الأنباريّ، أبو بكر محمّد بن القاسم (ت٣٢٨ه): **إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عزّوجلّ**، تحقيق محيي الدّين عبد الرّحمن رمضان، دمشق، ١٣٩١ه – ١٩٧١م.

٦- ابن الأنباريّ، أبو البركات كمال الدّين عبد الرّحمن بن محمّد (ت٥٧٧ه): **نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء**، قام بتحقيقه إبراهيم السّامرّائيّ، مكتبة المنار، الأردنّ-الزّرقاء، ١٤٠٥ه – ١٩٨٥م.

٧- بروكلمان، كارل: **تاريخ الأدب العربيّ**، أشرف على التّرجمة العربيّة محمود فهمي حجازي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، د.ت .

٨- البغويّ، أبو محمّد الحسين بن مسعود الفرّاء (ت٥١٦ه): **مختصر تفسير البغويّ المسمّى "معالم التّنزيل"** اختصار وتعليق عبد الله بن أحمد بن عليّ الزّيد، مؤسّسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيريّة والإنسانيّة، دار السّلام للنّشر والتّوزيع، الرّياض، المملكة العربيّة السّعوديّة.

٩- البيهقيّ، أبو بكر أحمد بن الحسين(ت٤٥٨ه): **مناقب الشّافعيّ**، تحقيق السّيّد أحمد صقر، الطّبعة الأولى ١٣٩١ه-١٩٧١م، دار التّراث، القاهرة.

١٠- الثّعالبيّ، أبو منصور عبد الملك بن محمّد بن إسماعيل النّيسابوريّ(٤٢٩ه): **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة.

١١- الثّوريّ، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الكوفيّ(ت١٦١ه): **التّفسير**، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، ط:١، ١٤٠٣ه – ١٩٨٣م.

١٢- ابن الجوزيّ، أبو الفرج جمال الدّين عبد الرّحمن بن عليّ بن محمّد(ت٥٩٧ه): =**زاد المسير في علم التّفسير**، المكتب الإسلاميّ، ط:١، ١٤٢٣ه – ٢٠٠٢م، دار ابن حزم للطّباعة والنّشر والتّوزيع، د.ت.

١٣- **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، دراسة وتحقيق محمّد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصحّحه نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، ط:٢، ١٤١٥ه – ١٩٩٥م.

١٤- زيدان، أشرف محمد، مكانة اللغة العربية في ضوء تلازمها بالقرآن الكريم.

١٥- الحمويّ، ياقوت: **معجم الأدباء: إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلاميّ، ط:١، ١٩٩٣م، بيروت – لبنان.

١٦- الحوفي، أحمد محمّد: **الزّمخشريّ**، ط:١، دار الفكر العربيّ، ١٩٦٦م.

١٧- الدَّميريّ، كمال الدّين: **حياة الحيوان الكبرى**، دار المعرفة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، بيروت – لبنان، ط:١، ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

١٨- الذّهبيّ، شمس الدّين محمّد بن أحمد بن عثمان(ت٧٤٨هـ): **سير أعلام النّبلاء**، أشرف على تحقيق الكتاب وخرّج أحاديثه شعيب الأرناؤوط، مؤسّسة الرّسالة، الطّبعة الحادية عشرة (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) بيروت – لبنان.

١٩- الزّركشيّ، بدر الدّين محمّد بن عبد الله: **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التّراث، القاهرة، د.ت.

٢٠- الزّمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمر(ت٥٣٨هـ):

=**أساس البلاغة**، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٢١- =**الفائق في غريب الحديث**، تحقيق عليّ محمّد البجاويّ ومحمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ١٩٩٣م – ١٤١٤هـ، بيروت – لبنان.

٢٢- =**الكشّاف عن حقائق التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل**، تحقيق عبد الرّزّاق المهديّ، دار إحياء التّراث العربيّ، بيروت – لبنان، ط:٢، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م، بيروت – لبنان.

٢٣- =**المفصّل في علم العربيّة**، دار الجيل للنّشر والتّوزيع والطّباعة، بيروت – لبنان، د.ت.

٢٤- زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب(ت١٢٢هـ): **تفسير غريب القرآن المجيد**، حقّقه ورتّبه محمّد يوسف الدّين، الهند، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٢٥- السّعديّ، عبد الرّحمن بن ناصر(ت١٣٧٦هـ): **تيسير الكريم الرّحمن في تفسير كلام المنّان**، اعتنى به تحقيقًا ومقابلة محمّد الصّالح العثيمين، ط:١، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م، دار ابن الهيثم، القاهرة.

٢٦- السّيوطيّ، أبو الفضل جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر(ت٩١١هـ): **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق مركز الدّراسات القرآنيّة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشّريف، ١٤٢٦هـ، المملكة العربيّة السّعوديّة.

٢٧- الشّافعيّ، محمّد بن إدريس(ت٢٠٤هـ): **الرّسالة**، تحقيق وشرح أحمد محمّد شاكر، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان، د.ت.

٢٨- شحرور، محمّد: **فقه المرأة: نحو أصول جديدة للفقه الإسلاميّ**، دار السّاقي، ط:٢، ٢٠١٥، بيروت – لبنان.

٢٩- الشّعراويّ، محمّد متولّي: **التّفسير**، أخبار اليوم، قطاع الثّقافة، د.ت.

٣٠- الشّيرازيّ، مرتضى آية الله زاده: **الزّمخشريّ لغويًّا ومفسّرًا**، تقديم حسين نصّار، ١٩٧٧م، دار الثّقافة للطّباعة والنّشر بالقاهرة.

٣١- الطّبريّ، أبو جعفر محمّد بن جرير(ت٣١٠هـ): **جامع البيان عن تأويل القرآن: تفسير الطّبريّ**، تحقيق أحمد البكريّ ومحمّد عادل ومحمّد عبد اللطيف ومحمود مرسي، إشراف وتقديم عبد الحميد عبد المنعم مدكور، دار السّلام للطّباعة والنّشر والتّوزيع والتّرجمة، ط:٢، القاهرة، الإسكندريّة.

٣٢- العامليّ، محمّد بن الحسين بن عبد الصّمد الحارثيّ البهائيّ(ت١٠٣٠هـ): **الكشكول**، تحقيق السّيّد محمّد السّيّد حسين المعلّم.

٣٣- ابن عبّاس، عبد الله: **التّفسير المسمّى صحيفة عليّ بن أبي طلحة عن ابن عبّاس في تفسير القرآن الكريم**، اعتنى بها وحقّقها وخرّجها راشد عبد المنعم الرّجال، مؤسّسة الكتب الثّقافيّة، ط:١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م، بيروت– لبنان.

٣٤- عبده، محمّد: **تفسير القرآن الحكيم الشّهير بتفسير المنار**، (محمّد رشيد رضا)، ط:٣، دار المنار بمصر، ١٣٦٧هـ.

٣٥- ابن عبد البرّ، أبو عمر يوسف(٤٦٣هـ): **جامع بيان العلم وفضله**، تحقيق أبي الأشبال الزّهيريّ، دار ابن الجوزيّ، ط:١، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، المملكة العربيّة السّعوديّة.

٣٦- ابن عساكر، أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشّافعيّ(ت٥٧١هـ): **تاريخ مدينة دمشق**، دراسة وتحقيق محبّ الدّين أبي سعيد عمر بن غرامة العمرويّ، دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع، الطّبعة الأولى: ١٤١٨هـ-١٩٩١م.

٣٧- العسقلانيّ، ابن حجر(ت٨٥٢هـ):
=**توالي التّأسيس لمعالي محمّد بن إدريس**، حقّقه أبوالفداءعبدالله القاضي،دارالكتبالعلميّة،بيروت – لبنان،الطّبعةالأولى: ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٣٨- =**الإصابة في تمييز الصّحابة**، دار الكتب العلميّة، بيروت – لبنان.

٣٩- الفرّاء، أبو زكريّا يحيى بن زياد(ت٢٠٧هـ): **معاني القرآن**، تحقيق ومراجعة محمّد عليّ النّجّار، ط:٤، مطبعة دار الكتب والوثائق القوميّة بالقاهرة، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م.

٤٠- القرطبيّ، أبو عبد الله محمّد بن أحمد(ت٦٧١هـ): **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبيّ)**، تحقيق عبد الرّزّاق المهديّ، دار الكتاب العربيّ، بيروت – لبنان، ط:٤، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م.

٤١- القفطيّ، جمال الدّين أبو الحسن عليّ بن يوسف: **إنباه الرّواة على أنباه النّحاة**، بتحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، ط:٢، مطبعة دار الكتب والوثائق القوميّة بالقاهرة، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٤٢- مجاهد بن جبر(ت١٠٢هـ): **التّفسير**، تحقيق محمّد عبد السّلام أبو النّيل، ط:١، دار الفكر الإسلاميّ الحديثة، مدينة نصر، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.

٤٣- المزنيّ، وهير بن أبي سُلمى: **الدّيوان**، صنعة أبي العبّاس ثعلب، ط:٣، مطبعة دار الكتب والوثائق القوميّة بالقاهرة، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

٤٤- المشتولي: **سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنسوان**، http://www.islamicbook.ws/adab/slwt-alahzan-llajtnab-an-mjalst-alahdath-walnswan.pdf

٤٥- مقاتل بن سليمان: **التّفسير**، دراسة وتحقيق عبد الله محمود شحاتة، مؤسّسة التّاريخ العربيّ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، بيروت – لبنان.

٤٦- ابن وهب المصريّ، عبد الله بن وهب بن مسلم أبي محمّد المصريّ(ت١٩٧هـ): **تفسير القرآن**، تحقيق وتعليق ميكلوش حوراني، جامعة بون/ألمانيا، دار الغرب الإسلاميّ، ط:١، ٢٠٠٣م، بيروت.

٤٧- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم الإفريقيّ المصريّ، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت.